[المجلس الرابع]

الحَمْدُ للهِ حمدًا كَثِيْرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضىٰ، الحَمْدُ للهِ حتىٰ يرضىٰ، وَالحَمْدُ للهِ عند الرضا، وَالحَمْدُ للهِ بعد الرضا، وَالحَمْدُ للهِ علىٰ كل حال، ونعوذ بالله من حال أهل النَّار، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الواحد القهار، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ النبي المختار، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أظلم ليل أو أضاء نهار، ورضي الله عن آله وأصحابه الأطهار الأبرار.

أما بَعْد؛

فمعاشرة الإخوة نواصل شرحنا المختصر لهذا الكتاب الصغير في حجمه العظيم في محتواه ونفعه (اعتقاد أهل الحديث) لشيخ الشافعية الإسماعيلي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ. وبالمناسبة فأنا أقول إن من الوسائل الطيبة لنشر عقيدة أهل السنة والجماعة أن يُبحث عن كتب الشافعية في العقيدة، وأن يُبحث عن أقوال الإمام الشافعي في العقيدة، وعن أقوال أئمة الشافعية في العقيدة، التي هي عقيدة أهل السنة والجماعة وتُنشر، جميل جدًّا أن يقيم طالب العلم درسًا في المسجد مثلًا عن كلمات أئمة الشافعية في عقيدة المسلم، ويبدأ بالإمام الشَّافِعِيّ، وينقل.. وقد جُمع ذلك في كتاب مطبوع في عقيدة الإمام الشَّافِعِيّ، وكذلك أئمة الشافعية، ومثل يعني مثلًا الإسماعيلي والأئمة الذين ذكرناهم في المقدمة، ويُنقل ذلك للناس، فإن هذا أدعىٰ لقبوله، وهو مناسب جدًا.

نواصل من حيث وقفنا، حيث قال الشيخ الإسماعيلي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (ويرون الصلاة – الجمعة وغيرها– خلف كل إمام مسلم برا كان أو فاجرا) من هنا يبدأ الإسماعيلي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في بيان منهج أهل السنة والجماعة في معاملة ولاة الأمور، وهذه المسائل يذكرها أهل السنة والجماعة في العقيدة لأنها فارقة بين أهل السنة وأهل البدع. من الأمور التي تميز أهل السنة عن أهل البدع معاملة ولاة الأمر؛ أهل السنة والجماعة يعاملون ولاة الأمر بما جاء به الشرع، وأهل البدع يعاملونهم بالأهواء أو الأطماع الشخصية، ومن هنا تجد أن كتب أهل السنة والجماعة تذكر هذه المسائل في كتب العقيدة، فأهل السنة والجماعة يرون انعقاد الإمامة لولي الأمر المسلم، إن انعقد له الأمر بالطرق المشروعة أو بغيرها، كأن يتغلب بالقوة، فتم له الأمر وسلم له أهل الحل

والعقد برًا كان أو فاجرًا عدلًا كان أو ظالمًا فإن ولايته تقوم وحقوقه تنعقد، مع نُصحهم لولي الأمر بالطريق المشروع، إن رأوا منه فجورًا أو رأوا منه ظلمًا، مع حفظ هيبته التي لا يتحقق مقصود الشارع من اعتبار إمامته إلا بها، ويرون أن المصالح الدينية والمصالح العامة تُناط بولاة الأمر، ويُقدمون فيها، ولا يمنع ذلك فجورهم وظلمهم، فلا تُعطل المصالح بجوره وظلمه، ولا يمنع جوره وظلمه حقوقه الشرعية.

ومن حقوقه كما قلنا النفح له بالطرق المشروعة، فتُصلىٰ الجمعة والجماعة وراءهم، ووراء من يعينونه للإمامة، وترك ذلك خلفهم بدعة؛ ترك الصلاة خلف ولي الأمر لما يُرىٰ فيه من فجور أو ظلم إن كان يصلي بالناس بدعة محدثة، وترك الجمعة والجماعة خلف إمام لبدعته غير المكفرة بدعة محدثة. وقد كان الصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم يصلون خلف من ظهر فجوره من الأئمة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (وقد كان الصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم يصلون خلف من يعرفون فجوره، كما صلىٰ عبد الله بن مسعود وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة، وقد كان يشرب الخمر، وصلىٰ مرةً الصبح أربعًا) يعني يُذكر أنه صلىٰ بهم الصبح أربعًا، فلما قالوا له: (صليت بنا أربعًا) قَالَ: (تريدون أزيدكم!)، وجلده عثمان بن عفان علىٰ ذلك. قَالَ: (وكان عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وغيره من الصحابة يصلون خلف الحجاج بن يوسف، ومعروف ظلمه، وكان الصحابة والتابعون يصلون خلف ابن أبي عبيد وكان متهمًا بالإلحاد وداعيًا إلىٰ الضلال) كان متهمًا! يعني ما كان ذلك ثابتًا عليه، لكن كان متهمًا بذلك.

الشاهد أن أئمة أهل السنة والجماعة من المتقدمين كانوا يرون الصلاة خلف الإمام برًا كان أو فاجرًا، وكانوا يفعلون ذلك، ويرون أن ترك ذلك بدعة، وهكذا سار أهل السنة والجماعة علىٰ هذا الأمر.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (فإن الله عز وجل فرض الجمعة وأمر بإتيانها) في قوله سُبْحَانَهُ: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ﴾ [الجمعة: ٩]، (فرضًا مُطْلَقًا، مع علمه تَعَالَىٰ بأن القائمين) يعني الذين يؤمون في صلاة الجمعة (يكون منهم الفاجر والفاسق، فلم يستثن وقتًا دون وقت، بل كان ذلك أمرًا مُطْلَقًا، ولا

أمرًا بالنداء للجمعة دون أمر) فدل ذلك علىٰ أنه حيث نُودي للجمعة وكان الإمام مسلمًا فإنه يُصلىٰ خلفه ولو كان فيه فجور أو فسق.

قَالَ: (ويرون جهاد الكفار معهم، وإن كانوا جورة) الجهاد يا إخوة منوط بولاة الأمر، فشرط كون الجهاد صحيحًا أن يكون تحت راية ولي الأمر، فهم الذين يُقاتل من ورائهم ويُقاتل معهم، ولا يُفتات عليهم في ذلك بحجة فجورهم. والعلماء إذا رأوا مشروعية الجهاد يحثون ولي الأمر عليه، ولا يفتاتون عليه فلا يعلنون الجهاد دونه، ولا يأمرون أحدًا بالذهاب إليه دونه، والجهاد أمره عظيم جدًّا، وتشتعل عنده العواطف، فلا بد من ضبطه. ولذلك يا إخوة ترون في كتب الفقه أن الفقهاء يؤخرون كتاب الجهاد، حتىٰ لا يتكلم في الجهاد إلا فقيه؛ لأنه إذا تكلم فيه غير الفقيه أفسد فسادًا عظيمًا، وانقلب الجهاد إلىٰ فساد، ولا يمكن أن يجتمع الجهاد والفساد. وهذا أمر عظيم ينبغي أن يدركه طلاب العلم، فإنا نرىٰ طلاب العلم يخوضون في مثل مسائل الجهاد وغيرها مما ليس لهم، وإنما هو من الناحية النظر الشرعي للعلماء الأكابر، ومن ناحية العمل لولي الأمر المسلم، لا يُفتات عليه في هٰذَا.

وكلام غير أهل الفقه والعلم في الجهاد إما أن يقود إلىٰ تعطيل الجهاد وإما أن يقود إلىٰ التهور الذي يقود الأُمَّة إلىٰ أعظم الفساد. الجهاد إذا لم يظهر له ثمرة تغلب المفاسد التي تقع فيه فإنه لا يشرع، وإذا كان الجهاد سيجر فسادًا معلومًا علىٰ المسلمين فإنه لا يجوز ولا يكون جهادًا. ولذلك يا إخوة الله عَزَّ وَجَلَّ أباح للمسلم أن يفر أمام ثلاثة فأكثر من الكفار؛ لأنه إذا قابل المسلم ثلاثة فأكثر من الكفار فإنه يغلب علىٰ ظن أن يُقتل، فأوجب الله علىٰ المسلم أن يثبت أمام اثنين، لا يجوز له أن يفر أمامهما لأنه يغلب علىٰ الظن أنه يستطيع أن يتغلب عليهما، أما إذا كانوا ثلاثة فأكثر فإن الله أباح للمسلم أن يفر من أمام الثلاثة فأكثر، وذلك لهذه القضية العظيمة، وهي أن الجهاد إذا لم تظهر مصلحته بل ظهر أنه تترتب عليه مفسدة أعظم من مفسدة تركه فإنه لا يكون جهادًا، ولا يكون يعني مشروعًا. ومن لا يدركون ذلك قادوا الأُمَّة إلىٰ التهور، حتىٰ أن شيخنا الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ كان يقول (ماذا يريد هؤلاء من الأُمَّة؟ أيريدون أن يقاتل أقوام بالسكاكين والخناجر والسيوف أمام دبابات وقنابل وغير ذلك!) الله عَزَّ وَجَلَّ ما أوجب الجهاد إلا بإعداد ما

يُستطاع من القوة، فهذا أمر عظيم ينبغي فقهه، وأن لا يتجارىٰ الناس أمام العواطف، وتُجر الأُمَّة إلىٰ ما يضرها، يُقتل من الكفار عشرة فيُقتل من المسلمين عشرة آلاف، أي جهاد هٰذَا! هذا ليس من الجهاد. ومع ذلك إذا وقع البلاء علىٰ المسلمين وإن جَرَّ إليه من جر بخطأ وتهور فإنا ندعو للمسلمين، ونحب أن ينصرهم الله، ونستفرغ جهدنا في الدعاء لهم، هذا منهج أهل السنة وَالْجَمَاعَة، منهج علم وعدل، ورفق وإحسان.

قَالَ: (ويرون الدعاء لهم بالصلاح والعطف إلىٰ العدل) من حقوق ولاة الأمر علىٰ الرعية عند أهل السنة والجماعة دعوتهم إلىٰ الصلاح والإصلاح سرًا، والدعاء لهم بكل خير، ومنه الإصلاح والصلاح والعدل، وهذا من الخير في الأُمَّة، لا تزال الأمة بخير ما كان الراعي يدعو للرعية والرعية تدعو للراعي، قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خِيارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُم وَتُصَلُّونَ عليهم» معنىٰ تصلون عليهم هنا تدعون لهم ويدعون لكم. وقد قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ: (لو كانت لي دعوة مستجابة لجعلتها في السلطان)، فقيل له: (يا أبا علي فسر لنا هٰذَا) يعني لماذا لا تجعلها لنفسك؟ لماذا تجعلها للسلطان؟ لأنه يقول: (لو علمت أن لي دعوة واحدة يجيبها الله لجعلتها في السلطان) ما جعلتها في نفسي، فقالوا له: (يا أبا علي فسر لنا هٰذَا)، فَقَالَ: (إذا جعلتها في نفسي لم تعدُني) يعني كانت قاصرة عَلَىٰ، (وإذا جعلتها في السلطان فصلح بصلاحه العباد والبلاد). وقال السلف: (إذا رأيت الرجل يدعو للسلطان فاعلم أنه صاحب سنة، وإذا رأيته يدعو علىٰ السلطان فاعلم أنه صاحب هوىٰ) لأن أهل السنة لا يريدون السلطة، وإنما يريدون صلاح السلطان، ولذلك يدعون له. أما أهل البدع والأهواء فإنهم يريدون الكرسي، لا يريدون صلاح الراعي، ولذلك قال قائل منهم: (لو صلح فلان لما رضينا به) لأنهم ما هدفهم صلاح الراعي، وإنما هدفهم أن يصلوا إلىٰ الكراسي.

ولذلك يا إخوة من لطائف القول إن أهل السنة والجماعة يريدون إيصال الناس إلىٰ الحق وإيصال الحق إلىٰ الناس، وأهل الأهواء يريدون الوصول إلىٰ الكراسي، إما إلىٰ كراسي القلوب لحصول الشعبية وكثرة الأتباع، وإما إلىٰ كراسي الحكم، وهذا أمر فارق بين أهل السنة وغيرهم من أهل البدع.

قَالَ: (ولا يرون الخروج بالسيف عليهم) أجمع أهل السنة والجماعة علىٰ أن الخروج علىٰ ولي الأمر المسلم باللسان أو السنان محرم وكبيرة من كبائر الذنوب، وأن المشروع جهاد الخوارج باللسان كما يفعله علماؤنا -علماء أهل السنة وَالْجَمَاعَة- وبالسنان، والأدلة علىٰ هذا كثيرة جدًّا مشهورة.

قَالَ: (ولا قتال الفتنة) يعني أن أهل السنة والجماعة يرون عدم القتال في الفتنة، أكثر أهل السنة والجماعة علىٰ اعتزال الفتنة وعدم القتال فيها، كما فعل أكثر الصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم، فلا يقاتِل المسلم في الفتنة، بل يصبر ويُمسك نفسه. والقتال في الفتنة يا إخوة ينبغي أن يُفهم أنه يعني أن تقتتل طائفتان من المسلمين لكل منهما تأويل له وجه، كلٌّ يريد نصرة الحق والدين، كما وقع من الصحابة في صِفين، فهنا الذي عليه أكثر أهل السنة والجماعة أن الفتنة تُعتزل. وذلك يا إخوة لو وقع خلاف بين شيخين فاضلين كل منهما له دليل فيما يقوله، وكل يظهر منه أنه يريد نصرة الدين ويريد نصرة الحق، لا ينبغي لطالب العلم أن يدخل رأسه بينهما، بل يعتزل ذلك، ويدع الأمر لهما وإلىٰ العلماء يُعالج، فإما أن يُوصل إلىٰ اتفاق بحسب الدليل، وإما أن نعلم أن أحدهما مصيب له أجران والآخر مخطئ وله أجر واحد.

قَالَ: (ويرون قتال الفئة الباغية مع الإمام العادل، إذا كان ووجد علىٰ شرطهم في ذلك) الفئة الباغية يا إخوة قوم من المسلمين يخرجون علىٰ الإمام ولهم قوة وشوكة ومنعة بتأويل سائغ مخطئين فيه؛ هؤلاء يا إخوة قوم من المُسْلِمِيْنَ، البغاة قوم من المُسْلِمِيْنَ، لم يختلف أحد في كونهم من المُسْلِمِيْنَ، يخرجون علىٰ ولي الأمر، ولهم قوة ومنعة وشوكة، ولهم تأويل، وهم يكونون مخطئين فيه. ومن الفوارق بين الخوارج والبغاة أن الخوارج اختُلف في تكفيرهم، أما البغاة فلم يقل بكفرهم أحد. ومن الفوارق أَيْضًا ان قتال الخوارج يُبتدأ به، أما قتال البغاة فيكون بعد نصحهم، وبعد مراسلتهم، وبعد كشف أنهم مخطئون في تأويلهم، فإن أبوا وأصروا وعاندوا، فإنهم يُقاتلون، وقد أجمع الصحاب رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم علىٰ قتال الفئة الباغية، ويجب قتالهم مع الإمَام، وللفقهاء بيان وتفصيل في هذا في كتب الفقه يضيق المقام عن ذكره.

قَالَ: (ويرون الدار دار الإسلام لا دار الكفر كما رأته المعتزلة، ما دام النداء بالصلاة والإقامة ظاهرين وأهلها ممكنين منها آمنين) هذه مسألة مهمة جدًا؛ دار الإسلام هي التي تكون بأحد أمرين:

اَلْأَوَّلُ: أن يكون ولي أمرها مسلمًا مع كثرة المُسْلِمِيْنَ، فإذا كان ولي أمر الدولة مسلمًا -أيًا كان حاله- مع كثرة المسلمين فهي دار إسلام.

الثَّانِي: أن تكون شعائر الإسلام فيها ظاهرة مع ظهور أهل الإسلام، فينادىٰ بالأذان ونحو ذلك مع ظهور أهل الإسلام.

إذا وُجد أحد الأمرين فالدار دار إسلام. وأما دار الكفر فهي التي يكون ولي أمرها كافرًا مع عدم ظهور المُسْلِمِيْنَ. ومما يترتب علىٰ هذا مسألة الهجرة، فإن الهجرة تكون من دار الكفر إلىٰ دار الإسلام لا بالعكس، لا تكون الهجرة من دار الإسلام إلىٰ دار الكفر، ما تكون الهجرة من اندونيسيا إلىٰ أمريكا، ما تكون الهجرة من اندونيسيا إلىٰ بريطانيا، وإنما الهجرة تكون من ديار الكفر إلىٰ ديار الإسلام، والفقهاء قد فصلوا في حكم الهجرة، وذكروا تفصيلات في هٰذَا. ليس المقصود هنا الكلام عن ذلك، لكن أهل السنة والجماعة يرون أنه إذا وُجد في الدار أن ولي أمرها مسلم وأن المسلمين ظاهرون يرون هذا دار إسلام، أو إذا كانت شعائر الدين ظاهرة وكان لأهل الإسلام ظهور فإنهم يرون أن الدار دار إسلام لها أحكام دار الإسلام.

قال رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (ويرون أن أحدا لا تخلص له الجنة، وإن عمل أي عمل، إلا بفضل الله ورحمته) يرون أن الأعمال الصالحة سبب لدخول الجَنَّة، لكن الجنة لا تُدخل إلا بفضل الله ورحمته. لا يستحق الإنسان الجنة بعمله، ولكن الله من فضله ورحمته جعل الأعمال الصالحة سببًا لدخول الجَنَّة، وإلا والله لو عملنا ليلًا ونهارًا منذ ولدنا إلىٰ أن نموت ما كان ذلك موجبًا لنا أن ندخل الجنة إلا بفضل الله ورحمته، فإنا ما اهتدينا إلا بنعمة الله، وما عملنا إلا بنعمة الله، ونعيش في نعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. ولكن يدخل الموحدون الصالحون الجنة بفضل الله ورحمته.

قَالَ: (فإن عمله للخير وتناوله الطاعات إنما عن فضل الله الذي لو لم يتفضل به عليه لم يكن لأحد علىٰ الله حجة ولا عذر) -كَمَا تَقَدَّمَ-. (كما قال الله: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا

مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ} [النور: ٢١] {وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: ٨٣] وقال: {يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ} [البقرة: ١٠٥]) وقد تقدم الكلام علىٰ هداية الله لمن يشاء وإضلال الله لمن يشاء، وبينا معنىٰ ذلك بحمد الله. والنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ. قالوا: ولا أَنْتَ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: لا، ولا أنا، إلَّا أنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بفَضْلٍ ورَحْمَةٍ»، هذا عند البُخَارِيّ. وعند مسلم؛ قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ أحَدًا عَمَلُهُ قالوا: ولا أنْتَ؟ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: ولا أنا، إلَّا أنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ منه برَحْمَةٍ». هذه عقيدة أهل السنة وَالْجَمَاعَة، فيعتقدون أن دخول الجنة بفضل الله ورحمته، والله جعل التوحيد سببًا لدخول الجَنَّة، وجعل الأعمال الصالحة سببًا لدخول الجَنَّة.

قَالَ: (ويقولون إن الله عز وجل أجل لكل حي مخلوق أجلا هو بالغه فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وإن مات أو قتل فهو عند انتهاء أجله المسمىٰ له) المقصود أن القتل لا يعجل أجل المقتول، بل هو أجله وسببه القتل، ولذلك بعض الناس إذا قُتل شخص يقولون يعني مات قبل أجله؛ هذا غير صحيح! هذا أجله، وكان القتل سبب موته، سبب مفارقته الحياة، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، ولذلك المؤمن الذي يؤمن بهذا يكون شجاعًا ولو دُعي إلىٰ الجهاد المشروع فإنه ينفر لأنه يعلم أنه إذا جاء أجله سيفارق الدنيا، لن يتأخر أبدًا ولن يتقدم، فأن يموت شهيدًا خيرٌ له من غيره. ولذلك يا إخوة المؤمن لا يرده خوف الموت عن خير؛ لأنه يعلم أنه إذا حضر أجله فإنه سيفارق هذه الدنيا. فإن قال قائل: فما تقولون بما ورد من أن من يصل رحمه يُنسأ له في أجله؟ قُلنا هذا بالنسبة لما في أيدي الملائكة، فإنه يكون عند الملك أن فلانًا إن وصل رحمه مثلًا يكون عمره ٦٠ سنة، وإن لم يصل رحمه يكون عمره ٥٠ سنة، فإذا رأىٰ الملك أنه يصل رحمه يعلم أن أجله يكون إلىٰ ٦٠ سنة فيُنسأ له في أجله بالنسبة لما في أيدي الملائكة، أما عند الله فأجله واحد معلوم.

قَالَ: (وإن الله تَعَالَىٰ) أي ويقولون (وإن الله تعالىٰ يرزق كل حي مخلوق) فالله هو الرزاق، يرزق كل حي مخلوق، ولا رازق غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. ورزقه بالنسبة لقِوام الحياة نوعان: رزق

غذاء، ورزق فضلٍ. أما رزق الغذاء فهو ما تقوم به الحياة، أي الذي لو لم يُرزقه الإنسان لمات، وهذا الرزق قد يكون حلالًا وقد يكون حرامًا، والمؤمن يتغيا الحلال، والكافر لا يبالي من أين يأخذ هذا الرزق. إذًا كله رزق الله، والمؤمن يتغيّا الحلال. والنوع الثاني رزق الفضل أو رزق الزينة، وهو ما يزيد علىٰ قوام الحياة، كون الإنسان تكون عنده سيارة، كون الإنسان يكون عنده بيت فيه سعة أكثر من غيره، يعني هذا من رزق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو رزق فضل. والرزق أعم من هٰذَا، فإن الأخلاق رزق، وإن العلم رزق، والرزاق هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال الشيخ: (وإن الله تعالىٰ يرزق كل حي مخلوق رزق الغذاء الذي به قوام الحياة، وهو يضمنه الله لمن أبقاه من خلقه، وهو الذي رزقه من حلال أو من حرام، وكذلك رزق الزينة الفاضل عما يحيا به).

قَالَ: (ويؤمنون بأن الله تعالىٰ خلق الشياطين توسوس للآدميين ويخدعونهم ويغرونهم، وأن الشيطان يتخبط الإنسان) يؤمنون بأن الله خلق ملائكة لا تعصيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أبدًا -كَمَا تَقَدَّمَ-، وخلق البشر لعبادته، فمنهم طائع ومنهم عاصٍ، وخلق الشياطين لحكمة عظيمة، والشياطين لا يطيعون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويفتن الله بهم البشر ليتبيّن الصادق من الكاذب، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١١]، فإبليس هذا هو أصل الشياطين. وقال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ﴾ [فاطر: ٦] أي جنس الشيطان ﴿لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]. وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، والغرور هو الشيطان الذي يغر الناس ويزين لهم الشر.

(وأن الشيطان يتخبط الإنسان) كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقول بعضهم إن هذا يعني لا يُراد به في الدنيا قول غير صحيح، إذ كيف يعرف الإنسان شيئًا لا يعلمه، وإنما يكون يوم القيامة مثلًا، هذه الآية دليل علىٰ أن الصرع الذي يصيب الإنسان قد يكون بسبب مس الشيطان، قد يكون بسبب دخول الشيطان فيه، وقد يكون بأسباب عضوية لا ننفي هذا ولا ننفي هٰذَا. بعض الناس ينكرون أن يكون الصرع بسبب دخول الشيطان في جسم الإنسان، وهذا غلط. وبعض الناس ينكرون أن يكون

الصرع بسبب أشياء عضوية تتعلق بالمخ، وهذا أيضًا غلط، فأهل السنة والجماعة يثبتون تخبط الإنسان بدخول الشيطان فيه، ولا ينكرون أن الصرع قد تكون له أسباب. وقد جاء أن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ قيل له إن قومًا يزعمون أن الجني لا يدخل في بدن الإنسان، فقال رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (أي بُنَي يكذبون، هو ذا يتكلم علىٰ لسانه) وكان الإمام أحمد تهابه الشياطين، وإذا قرأ علىٰ أحدٍ فر الشيطان الذي في جسده، وقد أُرسل إليه يومًا أن أحدًا تلبس به الشيطان فأرسل إليه نعله، فلما رأىٰ الشيطان نعل الإمام أحمد فر وخرج من جسده، وهذا الذي أريد تقريره وتكريره، أن أهل السنة والجماعة عندهم قوة، فلذلك يا إخوة لا ينبغي أن نتخاذل أو نجبن، الله جعل لأهل السنة والجماعة قوة عظيمة بحمد الله عَزَّ وَجَلَّ.

ولا شك يا إخوة؛ أخبرنا شيخنا الشيخ عبدالصمد كاتب رَحِمَهُ اللهُ أن رجلًا في الهند أصابه مس فصار يتكلم سبع لغات، وينظم الشعر، فبعد فترة قرأ عليه شيخ حتىٰ خرج الجني فصار، لا يتكلم من تلك اللغات إلا لغته، ولا يستطيع نظم الشعر، وقد رأينا بأنفسنا رجلًا يتكلم بصوت امرأة، ورأينا امرأة تتكلم بصوت رجل لتلبس الشيطان.

قَالَ: (وأن في الدنيا سحرا وسحرة، وأن السحر واستعماله كفر من فاعله، معتقدا له، نافعا ضارا بغير إذن الله) نعم يا إخوة! أهل السنة والجماعة يعتقدون أن السحر موجود حقيقة، وأن له تأثيرًا حقيقيًا بإذن الله الكوني القدري. ومن ذلك أنه يُفرق به بين المرء وزوجه بإذن الله الكوني القدري، ويُسمىٰ سحر الصرف، ويُجمع به بين رجل وامرأة بإذن الله الكوني القدري ويسمىٰ سحر العطف. وسحر الصرف والعطف -والسحر عمومًا- قد يكون بعقاقير وأدوية تُعمل دون الاستعانة بالشياطين، وهذا محرم وكبيرة من كبائر الذنوب. وقد يكون السحر برقىٰ وعزائم يستعان بها بالشياطين، وهذا شرك أكبر. والتولة الواردة في الحديث وأنها شرك هي سحر الصرف والعطف بالتعاويذ والعزائم والرقىٰ التي يُستعان فيها بالشياطين. والسحر بالاستعانة بالشياطين أو باعتقاد أنه يضر أو ينفع بنفسه من دون الله أو مع اعتقاد حله، انتبهوا! ثلاث حالات:

⇐ إذا كان السحر باستعمال الشياطين.

⇐ إذا كان باعتقاد أنه حلال.

⇐ إذا كان باعتقاد أنه يضر أو ينفع بنفسه من دون الله عَزَّ وَجَلَّ.

-- ((@ كلمة غير مفهومة- ٣٨:٥٨)) --ذلك اعتقاده أن الساحر يعلم الغيب، أو أنه يضر وينفع من دون الله، أو اقترن به التقرب إلىٰ الجن كأن يقدم شيئًا للجن؛ فهو كفر أكبر مخرج من ملة الإسلام.

قَالَ: (ويرون مجانبة البدعة والآثام، والفخر، والتكبر، والعجب، والخيانة، والدغل، والسعاية) أهل السنة والجماعة يرون مجانبة المآثم كلها، ومجانبة أهلها، ورأس المآثم الشرك الأكبر، ثم الشرك الأصغر، ثم البدعة، ثم كبائر الذنوب. كما أن أهل السنة والجماعة يرون مجانبة الأخلاق السَّيِّئَة، ويكون ذلك كله بلزوم التوحيد وَالسُّنَّة، وبصون الأسماع عن كلام أهل الباطل.

كيف يجانب الإنسان الآثام كلها؟

الأمر اَلْأَوَّلُ: أن يلزم الكتاب والسنة بفهم سلف الأُمَّة.

الأمر الْثَّانِي: -- ((@ كلمة غير مفهومة- ٤٠:٤٣)) –

خشية أن يقع شيء في قلبه فيزل.

قَالَ: (والفخر) أي يرون مجانبة الفخر، والفخر هو التعالي علىٰ الناس بسبب دنيوي، كالنسب مثلًا، فيفخر الإنسان علىٰ الناس بنسبه، يتعالىٰ علىٰ الناس بنسبه. والكبر نوعان:

اَلْأَوَّلُ: رد الحق وانتقاصه، يا إخوة كل راد للحق متنقص له متكبر، الذي بان أنه حق متنقص له متكبر.

الْثَّانِي: تنقص الناس واحتقارهم، وعدم رؤيتهم شيئًا.

والعجب أن يعجب الإنسان بما عنده، أن يعجب بعمله، أن يعجب بعلمه، وهذا يؤدي إلىٰ أحد أمرين:

⇐ إما أن يؤدي إلىٰ التقصير؛ لأنه يرىٰ أنه قد وصل -كما يقولون-.

⇐ وإما أن يؤدي إلىٰ الكبر والتعالي علىٰ الناس.

والخيانة هي الغش وعدم أداء الأمانة، فالمعلم الذي لا يدرس الطلاب تدريسًا علىٰ وجه صحيح هو خائن، والإمام الذي لا يقوم بالإمامة علىٰ وجه صحيح هو خائن، والذي يغش الناس هو خائن، وأعظمهم الذي يغش الناس في دينهم.

والدغل هو الافساد والفساد، يرون مجانبة الفساد والإفساد. والاغتيال هو القتل علىٰ حين غرة.

والسعاية يا إخوة هي السعي بالفساد، كَالنَّمِيْمَةِ.

قَالَ: (ويرون كف الأذىٰ وترك الغيبة) أهل السنة يرون التحلي بالأخلاق الحسنة وكف الأذىٰ. ومن أعظم الأخلاق وأسماها أن يحرص الإنسان علىٰ أن يسلم المسلمون من لسانه ويده، فهذا أفضل الإسلام كما أخبر النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيجتهد الإنسان في أن يكف أذاه عن الناس، وأن يجتنب الغيبة، والغيبة ذكرك أخاك بما يكره في غيبته، بما كان فيه، فإن كان ذكرك أخاك في غيبته بما يسوؤه مما ليس فيه فهو غيبة وبهتان، وإن كان ذكرك أخاك بما يسوؤه وهو حاضر فهذا شتم وسب، وكلها محرمة، وكلها من كبائر الذنوب.

قَالَ: (إلا لمن أظهر بدعة وهو يدعو إليها، فالقول فيه ليس بغيبة عندهم) من أظهر بدعة يدعو إليها فإنه لا غيبة له، بل الكلام فيه جهاد، ولكن بشروطه، والنظر إلىٰ آثاره، فإذا كان الكلام فيه يؤدي إلىٰ عكس المقصود؛ لأن المقصود نصرة الدين وكشف الحق للناس، فإذا كان الكلام فيه في وقت ما سيؤدي إلىٰ عكس المقصود، فيؤدي إلىٰ أن ينفر الناس من الحق الذي يقوله هذا المتكلم، وإلىٰ أن يُعتقد فيه أنه علىٰ ضلال، فإنه يحرص علىٰ أن يعلم الناس ويبين للناس كما سيأتينا في مسألة الجاهلين.

قَالَ: (ويرون تعلم العلم وطلبه من مظانه، والجد في تعلم القرآن وعلومه وتفسيره، وسماع سنن الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجمعها والتفقه فيها، وطلب آثار الصحابة) من أعظم ما يميز أهل السنة والجماعة العناية بالعلم النافع، تعلمًا وتعليمًا، وأن يكون تعلم العلم من أهله، من أهل السُّنَّة، فهم لا يخبطون في تعلم العلم، ويتعلمون عند كل أحد، أبدًا، وإنما يدركون أن هذا العلم

دين، فلا يأخذون العلم إلا عن أهل السُّنَّة. يحرصون علىٰ تعلم القرآن وتعليمه وعلىٰ تفسيره، وعلىٰ التفقه في دين الله، وعلىٰ تعلم العقيدة، وعلىٰ تعلم السُّنَّة، وكل ذلك من الخير.

قَالَ: (والكف عن الوقيعة فيهم، وتأول القبيح عليهم، ويكلونهم فيما جرىٰ بينهم علىٰ التأويل إلىٰ الله عزّ وجل) أي أن أهل السنة والجماعة يكفون عما شجر بين الصَّحَابَة، وما شجر بين الصحابة يا إخوة إما أنه شجر بينهم وإما أنه شجر منهم. فما شجر بينهم هو ما وقع بينهم من الفتن، فأهل السنة والجماعة يكفون ألسنتهم مع اعتقادهم أن الصحابة ما فعلوا ذلك طمعًا في الدنيا وإنما كلٌّ اجتهاد في طلب الحق ونصرة الدين، ومنهم مصيب له أجران، ومخطئ له أجر واحد. ويمسكون ألسنتهم عن الخوض في ذلك، مع محبتهم لجميع صحابة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. مع علمهم أن كَثِيْرًا مما يُنسب إلىٰ الصحابة من الفتن كذب، دسه أهل البدع، حتىٰ في بعض كتب أهل السُّنَّة. وأما ما شجر منهم كبعض الذنوب التي وقعت من بعضهم فإن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن ذلك لا يسقط صحبتهم، ولا يجرح عدالتهم، وأن ما وقع منهم، منهم من تاب منه توبة نصوحًا، لو وُزعت علىٰ أهل الدنيا لكفتهم. ومنهم ما كُفر ذنبه بالمكفرات، فهم أولىٰ الناس بمكفرات الذنوب.

قَالَ: (مع لزوم الجماعة) أهل السنة والجماعة أهل جماعة، يلزمونها ويلزمون بها، وباختصار شديد الجماعة جماعتان:

⇐ جماعة الدين، وهي جماعة واحدة وليست جماعات، رابطها لزوم ما كان عليه النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصَّحَابَة، هذه هي جماعة الدين، هي جماعة واحدة في السعودية، في اندونيسيا، في ماليزيا، في أمريكا، هي جماعة واحدة.

⇐ والثانية جماعة الأبدان، وهي الأجساد التي يجمعها ولي أمر مسلم، وهذه الأصل فيها أن تكون واحدة، لكن عند تفرق البلدان وانقسام البلدان فقد أجمع أهل السنة علىٰ أن لكل بلد ولي أمره الذي يجب أن يطاع في غير معصية الله ولهم جماعة في بلدهم، فأهل اندونيسيا من المسلمين جماعة، وأهل السعودية جماعة، كلٌّ تحت ولي أمره.

قَالَ: (والتعفف في المأكل والمشرب والملبس) هذا يا إخوة من أخلاق أهل السنة والجماعة ومما يُوصىٰ به، أن يتعفّف الإنسان في مأكله ومشربه، ما معنىٰ ذلك؟ أن يحرص علىٰ الحلال في مأكله ومشربه وملبسه، فإن المعلوم أن الأشياء تنقسم إلىٰ ثلاثة أقسام: حلال بين، وحرام بين، ومشتبهات؛ لا يعلمهن كثير من الناس، ومن وقع في الشبهات أوشك أن يقع في الحرام، فأهل السنة والجماعة يتواصون ويحرصون علىٰ الاقتصار علىٰ الحلال. وفي زماننا هذا نقول إن من لم يأخذ نفسه بالورع يوشك أن يقع، فالذي لا يأخذ نفسه بالورع الأسباب كثيرة، يوشك أن يقع في الحرام، ما أحوجنا إلىٰ شدة الحزم في زماننا هٰذَا! وقل من يسلم في زماننا هٰذَا! فعلينا أن نجاهد أنفسنا.

قَالَ: (والسعي في عمل الخير) أهل السنة والجماعة يتواصون ويحرصون علىٰ السعي في عمل الخير وإيصال الخير للغير، متمسكين بقول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّىٰ يُحِبَّ لأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

قَالَ: (والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) هذا من سعيهم في الخير، أنهم يأمرون بالمعروف بمعروف، وينهون عن المنكر بغير منكر، فيأمرون بالمعروف بالأسلوب الشرعي إذا تبين أنه معروف، وينهون عن المنكر بالأسلوب الشرعي إذا تبين أنه منكر، ولم يترتب علىٰ إنكاره منكر أعظم منه، وكذلك يعني إذا رأىٰ الإنسان أنه سينتقل الناس إلىٰ منكر يساويه فإن الأصل أن يُترك ذلك؛ لأن الانتقال إلىٰ منكر جديد يكون التمسك به أكثر من المنكر القديم.

قَالَ: (والإعراض عن الجاهلين حتىٰ يعلموهم ويبينوا لهم الحق، ثم الإنكار والعقوبة من بعد البيان وإقامة العذر بينهم ومنهم) مِن مزايا أهل السنة والجماعة الإعراض عن الجاهلين، وعدم مشاركتهم في جهلهم، فلا يشاركون الشتامين شتمهم، ولا أهل اللغو لغوهم، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]. ولا يزجون بأنفسهم فيما يفعله الناس مما هو مخالف للشرع، ومع إعراضهم يسعون في التعليم وبيان الحق وفق الأصول الشرعية، بغير غلظة ولا إنكار، فإذا أبىٰ الجاهلون بعد البيان والإعذار إلا العناد والإصرار علىٰ ما هم عليه فإنهم

ينكرون عليهم ويفارقونهم. وإذا كانوا أصحاب سلطان وكانت السلطة بأيديهم فإنهم يوقعون عليهم العقوبة الرادعة، وإن لم يكونوا أصحاب سلطان نصحوا السلطان بأن يعاقبهم عقوبة تردعهم عن جهلهم.

قال رَحِمَهُ اللهُ خاتمًا: (هذا أصل الدين والمذهب) دين أهل السنة والجماعة ومذهب أهل السنة وَالْجَمَاعَة.

(اعتقاد أئمة أهل الحديث، الذين لم تشنهم بدعة) يعني لم يتلبسوا ببدعة تعيبهم وتشينهم.

(ولم تلبسهم فتنة) فسلموا من الفتن بلزوم السُّنَّة.

(ولم يخفوا إلىٰ مكروه في دين) فتمسكوا معتصمين بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا عنه، هذا ختام بما بدأناه، فنحن بدأنا بأن الدين يقوم علىٰ أمرين عظيمين:

اَلْأَوَّلُ: الاعتصام بحبل الله وهو الأساس.

الْثَّانِي: عدم التَّفَرُّق، وهذا هو حال أهل السنة وَالْجَمَاعَة.

قَالَ: (واعلموا أن الله تعالىٰ أوجب في كتابه محبته ومغفرته لمتبعي رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كتابه) يعني لزوم السنة يُوصل إلىٰ محبة الله ومغفرة الذنوب.

قَالَ: (وجعلهم الفرقة الناجية والجماعة المتبعة، فقال عزّ وجلّ لمن ادعىٰ أنه يحب الله عز وجل: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} [آل عمران: ٣١]) فمن أراد أن يحبه الله فليتبع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن أراد أن يغفر الله ذنبه فليتبع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ولذلك قال العلماء إن لزوم السنة من أسباب تكفير الذنوب.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (نفعنا الله وإياكم بالعلم) نعم والله يا إخوة! العلم لا يكون خيرًا إلا إذا نفع، فطالب العلم ينبغي إذا اجتهد في طلب العلم أن يجتهد في الدعاء أن ينفعه الله بالعلم، وأن يرزقه العلم النافع. (نفعنا الله وإياكم بالعلم، وعصمنا بالتقوىٰ من الزيغ والضلالة بمنه ورحمته).

وبهذا نكون ختمنا هذا الكتاب.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يثبتنا علىٰ عقيدة أهل السنة وَالْجَمَاعَة، وأن يجعلنا خدامًا لها، داعين لها، وأن يثبتنا علىٰ ذلك إلىٰ أن نلقاه. أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن لا يعجزنا عن قول الحق، وعن دعوة الحق، وعن تعليم الناس الحق، وعن تعليم الناس ما ينفعهم.

بارك الله في الجميع، وتقبل الله من الجميع، والله تَعَالَىٰ أعلىٰ وأعلم، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ علىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّد.

وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَى وَأَعْلَمُ
وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ